

الموشحات الاندلسية

التعريف بالموشحات

الاقفال . الايات . الاجزاء . الخرجة . اوزانها .

الموشحات فن جديد في شعر المتقدمين استنبطه اهل الاندلس وسموه موشحاً لما فيه من الصنعة والتزيين؛ فكانهم نظروا الى وشاح^(١) المرأة وما فيه من ترصيع وتكريس^(٢)، وتفصيل فشبهوه به في اسمائه وايياته واقفائه .

ولابن سناء الملك تعريف ضاف بالموشحات في كتابه دار الطراز يستخلص منه ان الموشح يتألف في الاكثر من ستة اقفال وخمسة ابيات، ويقال له التام . وربما تألف من خمسة اقفال وخمسة ابيات وقيل له الاقرع . والتام ما ابتدئ فيه بالاقفال، والاقرع ما ابتدئ فيه بالايات .

والاقفال اجزاء مؤلفة يلزم ان يكون كل قفل منها متفقاً مع سائرهما في وزنه وقوافيه وعدد اجزائهم كقول ابن الخطيب :

جَادَكَ الْغَيْثُ، إِذَا الْغَيْثُ هَمَى، يَا زَمَانَ الْوَصْلِ يَا الْأَنْدَلُسِ !
لَمْ يَكُنْ وَضْلُكَ إِلَّا حُلْمًا فِي الْكَرَى، أَوْ حُلْسَةَ الْمُخْتَلِسِ .

فهذا القفل يتردد ما يشابهه وزناً وقافية وعدد اجزاء، ست مرات في الموشحة لانها تامة .

(١) الوشاح : شبه قلادة من اديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها او هو كبرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما، معطوف احدهما على الآخر .
(٢) التكريس : ان ينظم اللؤلؤ والخرز في خيط ثم يضا مفصولين بخرز كبار . ومنه قلادة ذات كبرس او ذات كبرسين .

والايات اجزاء مؤلفة يلزم ان يكون كل بيت منها متفقاً مع سائر ايات الموشح في الوزن وعدد الاجزاء، لا في القافية كقول ابن الخطيب بعد القفل الذي اوردناه :

إِذْ يَفُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ المَنَى، نَنْقُلُ الحَطَوَ عَلَى مَا تَرَسَّمُ،^(١)
 ذُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَثَنَاءِ، وَمِثْلَمَا يَدْعُو الحَجِيجَ المَوَسِمَ^(٢)
 وَالْحَيَا قَدْ جَلَلَ الرُّوضَ سَنَاءِ، فَتُغَوِّرُ الزَّهْرَ فِيهِ تَنِيمَ^(٣)

فهذا البيت يتكرر في سائر الموشحة خمس مرات بوزنه وعدد اجزائه، ويختلف في قافيته، مثال ذلك السطر الثاني منها حيث يقول في قفله :

وَرَوَى النُّعْمَانُ عَن مَاءِ السَّمَاءِ، كَيْفَ يَرُوي مَالِكٌ عَن أَنَسِ^(٤)
 فَكَسَاهُ الحُسْنُ ثَوْبًا مُعَلَّمًا، يَزِدْهِ مِنْهُ بِأَبْهَى مَأْبَسِ^(٥)

ويقول في بيته :

فِي لَيَالٍ كَتَمَتْ سِرَّ أهْوَى، بِالدُّجَى لَوْلَا سُوسُ الغُرْرِ^(٦)
 مَالِ نَجْمِ الكَأْسِ فِيهَا وَهْوَى مُسْتَقِيمِ السَّيْرِ، سَعْدَ الأَثَرِ^(٧)

(١) اشتات : جمع شت وهو المتفرق . ترسم : تأمر . يقول : ان الدهر كان طائفاً لنا يقود الينا المنى ونحن نسير على ما ترسمه هذه المنى . (٢) ذمراً : جماعات ، مفردهما زمرة ؛ نصبت على الحال من ضمير نقل . فرادى : واحداً واحداً . ثنا : اثنين اثنين . الحجيج : من يحجون الى الاماكن المقدسة . الموسم : مجتمع الحج في مكانه . (٣) الحيا : المطر . جلال : غطي . (٤) النعمان : ملك الحيرة ابن المنذر اللخمي، والمراد هنا شقائق النعمان . ماء السماء : ام المنذر اللخمي وجدة النعمان، والمراد هنا المطر . مالك : امام المدينة واحد الائمة الاربعة، وأنس والده . يقول : ان زهر الشقائق روى لنا عن والده المطر كيف كان يروي مالك عن والده انس رواية صدق . وصدق رواية الشقيق عن المطر باد في ازهاره وحين منظره، وفي المصراع الاول توريتان ظاهرتان . (٥) معلماً : مطرراً مرقوماً . (٦) الغرر : جمع غرة، اي طلعة وجوه الحسان . (٧) شبه كأس الحمر وهي تدور عليهم، وهم في لهو وهناء ، بنجم مطلعه سعد يسير في اصحابه سيراً مستقيماً، ويترك لهم اثاراً طيبة .

وَصَرُّ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ مَرَّ كَلْمَحٍ أَبْصَرَ

ويتركب القفل من فقرة واحدة وجزئين فصاعداً الى اربع فقر وثمانية اجزاء او عشرة . فمثال الفقرة الواحدة والجزئين :

بِاللَّهِ يَا سَفَاكَ ، أَعْمِدُ طُبَاكَ !

ومثال الفقرتين والجزئين :

أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمُسْتَكِي ، قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ

ومثال الفقرة الواحدة والاجزاء الثلاثة :

يَا لَيْلَةَ الْوَضْلِ ، وَكَاسَ الْعَقَارِ ، دُونَ اسْتِتَارِ ، عَلَّمْتَانِي كَيْفَ خَلَعُ الْعِدَارِ

ومثال الفقر الاربع والاجزاء الستة :

مَا لِلْمَوْلَةِ ، مِنْ سُكْرِهِ لَا يُفِيقُ ، يَا لَهُ سَكْرَانُ
مِنْ غَيْرِ خَمْرٍ ، مَا لِلْكَتِيبِ الْمَشُوقِ ، يَنْدُبُ الْأَوْطَانَ

والبيت يكون مفرداً ، واجزائه ثلاثة او اكثر ، فمثال الثلاثة :

إِنَّ الْمَسَاوِيكَ ، مَحْسُودَةٌ فِيكَ ، عَلَى لَمَى فِيكَ

وقفله :

يَا لَيْتَنِي مَسُوكٌ ، عُرِدِ الْأَرَاكُ !

ويكون مركباً ، واكثره ما جاء على فقرتين وثلاثة اجزاء كما في موشحة ابن الخطيب ، وربما زاد على ذلك او نقص . وقد يجيء فيه نصف جزء كقول بعضهم وهو فقرتان وثلاثة اجزاء ونصف جزء :

مَنْ أَوْدَعَ الْأَجْفَانَ ، صَوَارِمَ الْهِنْدِ
وَأَنْبَتَ الرِّيْحَانَ ، فِي صَفْحَةِ الْحَدِيدِ
قَضَى عَلَى الْهَيْمَانَ ، بِالدَّمْعِ وَالسُّهْدِ
أَنْنَى وَاللِّكْمَانَ .

وقفله :

لِلْمَهَائِمِ الْمُغْرَمِ ، بِدَمْعِ نَمِّ ، إِذْ يُسْجَمُ ، بِمَا يُكْتَمُ^(١)
مِنَ السَّرِّ ، فِي عَاطِلِ حَالِ ، عَزِيذِ سَاطِ ، عَلَيَّ بِالْدَعِجِ^(٢)

والقفل الاخير في الموشحة يقال له الخرجة ، وشرطها ان تكون عامية غير

معربة الا في المدح ، فمثال العامية :

أَنَا قَوْلٌ : قُوُقُو ، لَيْسَ بِإِلَّهِ تَذُوُقُو

واكثر ما تجعل على السن الجوارى والغلمان والسكرارى ؛ وربما جاءت على السن الحيوان والطيور والاشياء المعنوية كالحب والحرب وما اشبه . ولا بد ان يرد في البيت قبلها قال او قلت او يقول ، او ما يعني عنه كغنى وشدا ؛ فان الخرجة التي اوردنا قد مهد لها في البيت قبلها بقوله :

لَمَّا أَنْ تَسْرَبِلُ ، ثَوْبَ الْحُسْنِ زِيَا ، أَرَدْتُ أَقْبِلُ لَمَاهُ الشَّهِيَا
فَقَالَ تَمَثَّلْ ، بِالشِّعْرِ أَبِيَا ، وَمَالٌ تَدَلُّ ، بِأَجَلِي مَقَالِ :
أَنَا قَوْلٌ : قُوُقُو ، لَيْسَ بِإِلَّهِ تَذُوُقُو

والموشحات منها ما جاء على اوزان العرب ، ومنها ما خالفها . فاما الموزون فيعده اصحاب الصنعة مردولا ألا اذا اختلفت قوافي قفله كما في موشحة ابن الخطيب « جادك الغيث » او اخرج من الوزن بكلمة او حركة تتخلل ابياته ، مثال الكلمة :

صَبْرْتُ ، وَالصَّبْرُ شِيْمَةُ الْعَاقِبِي ، وَلَمْ أَقْلُ لِلْمُطِيلِ هِجْرَانِي :
مُعَذِّبِي كَفَانِي !

فهذا من المنسرح ، واخرجه منه معذبي كفاني . ومثال الحركة :

يَا وَيْحَ صَبَّ إِلَى الْبَرْقِ لَهُ نَظْرُ ، وَفِي الْبُكَاءِ مَعَ الْوَرَقِ لَهُ وَطْرُ
فحركة الخفض في البرق والورق والتزامها كالتقافية خرجا بالبسيط عن وزنه .

(١) الباء في قوله بما يكتم متعلق بنم . (٢) العاطل : ضد الخالي ، والخالي المتزين بالخلي .

ساط : اسم فاعل من سطا . الدعج : العيون الشديدة السواد مع سعة ؛ مفردا دعجاء .

وقد تكون اقوال الموشح موافقة لآبياته في الوزن وقد تكون مخالفة لها .
وما ما خالف وزن العرب فمنه ما له وزن خاص يدركه السمع ويعرفه الذوق
من غير احتياج الى ميزان العروض، وهذا كثير في الموشحات . ومنه مفكك النظم
لا يحس له وزن ولا وقع، وهذا يحسن في الغناء، ولا يحسن في الانشاد .
وربما بنيت الموشحة على بيت من الشعر مشهور يجعل على سبيل التضمين في
القفال او البيت . وربما بنيت على عدة ابيات من قصيدة، كقول ابن الوكيل مضمناً
من قصيدة ابن زيدون : « اضحى الثنائي . . . »

مَنْ هَامَ بِالْعَيْدِ ، لَأَقَى بِهِمْ هَمًّا ،
بَدَلْتُ مَجْهُودِي ، لِأَحْوَرِ أَلْمَى (١)
يَهُمُّ بِالْجُودِ ، وَرَدَّ مَا هَمًّا
وَعِنْدَ مَا قَدْ جَادَ ، بِالْوَصْلِ أَوْ قَدْ كَادَ ،
يَا حَيْرَةً بَأَنْتِ ، عَنْ مُغْرَمٍ صَبَّ
إِعْهَدِهِ خَازِنَتْ ، مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبِ
مَا هُكِّدَا كَانَتْ عَوَائِدُ الْعُرْبِ
لَا تُحْسَبُوا الْبُعْدَا ، يُعَيِّرُ الْعَهْدَا ، أَنْ طَالَمَا غَيَّرَ الثَّنَائِي الْمَجِينَا

(١) اللمى : من كان باطن شفته مشرباً سواداً ، وبارد الريق .

اختراعها

مقدم بن معافر . ابن المعتز . دخولها الشرق . الخروج
على نظام الشعر في الشرق . الاندلس والجديد فيها . تأثير
اختلاط العرب بالفرنجية . استعراب الاسبانيين . تأثير
الاختلاط في الازياء ، ولغة التخاطب ، والفناء ، والادب
والموشحات ، وانشيد التروبادور .

قال ابن خلدون في مقدمته : « واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم ،
وتهدبت مناخيه وفنونه ، وبلغ التتميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً سموه
بالموشح . » اهـ .

وقال ايضاً : « وكان المخترع له بجزيرة الاندلس مقدّم بن معافر القيرواني من
شعراء الامير عبدالله بن محمد المرواني ، واخذ ذلك عنه ابو عبدالله احمد بن عبد ربه
صاحب كتاب العقد ، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتها .
فكان اول من برع في هذا عبادة القرآز شاعر المعصم بن صامح صاحب العريّة . » اهـ
واورد ابن خلدون بعض توشيح لعبادة يقول فيه :

بَدْرُ تَمِّ ، شَسُّ ضَحَى ، غُضْنُ نَقَا ، مِسْكُ شَمِّ (١)
مَا أْتَمَّ ، مَا أَوْضَحَا ، مَا أَوْرَقَا ، مَا أُنَمَّ

فيتين من كلام صاحب المقدمة ان الموشحات ظهرت بالاندلس في القرن
الثالث للهجرة ، لان خلافة الامير عبدالله بن محمد كانت من سنة ٢٧٥ الى ٣٠٠ هـ .
(٨٨٨ - ٩١٢ م) . على انه لم يصل اليها شي . من موشحات مقدم بن معافر مخترع
هذا الفن ، ولا من موشحات ابن عبد ربه ؛ لان موشحاتها كسدت واهملت ولم يروها
الناس . واقدم ما وصل اليها ما جاءنا عن عبادة القرآز المتوفى سنة ٤٢٢ هـ .
(١٠٣٠ م) .

وفي ديوان ابن المعتز العباسي موشحة لطيفة ، لو صحت نسبتها اليه ، لما بقي فضل

(١) النقا : الكثيب من الرمل .

اختراع هذا الفن لأهل الأندلس؛ لأن ابن المعتز كان معاصراً لمقدم بن معافر، ومقدم كسنت موشحاته لغائتها، وابن المعتز خلدت موشحته لجودتها^(١). غير أننا نشك في صحة نسبتها إليه، لأسباب: منها أن مؤرخي ابن المعتز لم يذكروه في عداد الوشاحين، ولا ذكروا موشحته هذه. ومنها أن هذه الموشحة رويت لشاعر آخر يقال له الحفيد ابن زهير، ولعله أندلسي^(٢). ومنها أن ديوان ابن المعتز لا يحتوي غير هذه الموشحة، فلو عرف صاحبه فن التوشيح لاكثر منه لأنه يتلاءم مع اغراضه التي اختص بها، كوصف الطبيعة ومجالس اللهو والشراب. ومنها أنه لم يرو موشحة لشاعر مشرقى غير ابن المعتز في العصر العباسي الثاني، ولا رويت موشحة لشاعر في العصر الثالث. ومنها أن المؤرخين اتفقوا على نسبة الموشحات الى أهل الأندلس لأنها من مستنبطاتهم، ولم يذكروا مشرقياً في الوشاحين قبل ابن سناء الملك المصري، من شعراء العصر العباسي الرابع. فهذه الأسباب تعزز شكنا في موشحة ابن المعتز، وتعزز اعتقادنا أن الشرق لم يعرف هذا الفن إلا في أواخر العصر العباسية، بعد أن شاع وازدهر في الأندلس، وظهر بها أمثال عبادة القزاز وإبي بكر بن زهر^(٣)، وابن بقي^(٤)، والأعمى

(١) أول هذه الموشحة :

أيتها الساقى البك المشتكى، قد دعوتناك وإن لم تسمع

ونديم همت في غبرتي، وبشرب الراح من راحتو

كلما استيقظ من سكرته

جذب الزرق إليه وانكأ، وسقاني أرباعاً في أربع

(٢) رويت للحفيد بن زهير كما رويت لابن المعتز في كتاب «الغذاري للمناسات في الأزجال والموشحات» لجامع قتيب قعدان الحازن. ولعله الحفيد بن زهر لأن أبناء زهر اشتهروا في الأندلس بعلومهم وادابهم، ولا سيما أبو بكر بن زهر الذي شرقت موشحاته وغربت كما يقول ابن خلدون. وقد ورد اسمه محرفاً من زهر الى زهير في مقدمة ابن خلدون وفي الغذاري للمناسات. فلا يبعد أن يكون وقع هذا التحريف على الحفيد أيضاً. (٣) أبو بكر محمد بن زهر الأشبيلي من أتبع عائلة زهر المشهورة بالأندلس. كان طبيباً واديباً، اتصل بدولة المرابطين، والموحدين من بعدهم، ومات مسموماً في آخر سنة ٥٩٥هـ. (٤١٩٨ م) وكانت ولادته سنة ٥٥٧هـ. (١١١٣ م). (٥) هو أبو بكر يحيى بن بقي القرطبي له موشحات بديعة توفي سنة ٥٤٠هـ. (١١٤٥ م).

التُّطيلي^(١)، وابن باجة^(٢)، وسواهم من الوشاحين المشهورين .
ولم يحدث هذا الفن الجديد دون ان يلقي مقاومة وانكاراً، فان جماعة المحافظين
على القديم تجهموا وعدوه خروجاً على الاصول وضعفاً، وغابوا اصحابه، ولكن
سيهه طما وطغى واجترأ مقاوميه .

ولا بد من القول ان الخروج على نظام الشعر ظهر عند المشاركة في صدر الدولة
العباسية . فان بعض الشعراء اخذوا ينظمون الفنون العلمية والقصص الطويلة
مزدوجات، اذ لا يستطيع نظمها على قافية واحدة، كما فعل أبان بن عبد الحميد في
كليلة ودمنة . ونظموا ايضاً المسططات والخمسات، كما فعل قُطْرُب في مثلثاته . غير
ان فحول الشعراء تحاموا هذه الانواع ورأوا فيها عجزاً وضيقةً، وآثروا التزام القافية
الواحدة، الا بشاراً وابن المعتز . فقد ذكر ابن رشيق ان الاول كان يصنع الخمسات
والمزدوجات عبثاً واستهانة بالشعر . واما الثاني فصنع مزدوجة في ذم الصبوح،
واخرى في سيرة المعتضد .

وسرى فن المسططات والمزدوجات من الشرق الى الغرب كما سرى غيره من
الفنون والعلوم . فنظم فيه شعراء الاندلس، فعل ابن عبد ربه في مزدوجته التي ذكر
بها غزوات الخليفة الناصر . والاندلسيون اسرع الى الخروج على القديم من المشاركة،
لان الشرق مهد العربية، وظلل البادية؛ لا ينفك البدو يختلفون الى امصاره، وابناء
الامصار يختلفون الى باديته . فروح العربية فيهم ارسخ واقوى، مها غاوا في تجديدهم،
وافرطوا في انكار قديمهم . واما الاندلس فلم تكن قرارة العرب قدماً، وهي من
شمالها محاطة بدول نصرانية اعجمية، ومن جنوبها بقبائل بربرية مغربية . ولولا اعراق

(١) هو ابو جعفر احمد بن عبدالله التُّطيلي، منسوب الى تطينة مدينة بالاندلس، نسبة اليها
صاحب نفع الطيب . واما صاحب قلائد العقيان فقد نسبة الى طليطلة . عاش بين القرن الرابع
والخامس للهجرة (القرن العاشر والحادي عشر) واشتهر بالشعر والنثر والتوشيح . (٢) هو
ابو بكر محمد بن باجة التُّنجي السَّرْقُسطي، الفيلسوف الطيب المعروف بابن الصائغ، كان
شاعراً اديباً وشاحاً، ووزيراً للامير ابي بكر الصجراوي صاحب سرقسطه من قبل المرابطين .
توفي مسموماً في مدينة فاس بالمغرب سنة ٥٣٣ هـ . (١٣٨ م) .

بعض الأسر الأندلسية في العروبة، ومناصرة المونك للأدب والآداب، وشغفهم
 برواية الشعراء على، وترددهم في الشرق، وتردد مشاركة في بلادهم، لما رسخت
 ملكة الفصاحة هناك . وخصوصاً أن العرب الذين نزحوا إلى الأندلس كثروا من
 الزواج بالنساء الأسيانيتين، وسواهن من الأوربيات، فولد منهم أولاداً يعتلج في
 عروقهم الدم الشرقي والغربي، فكانت لهم عادات وطباع وأزياء وفنون يختلفون بها
 عن عرب المشرق جداً الاختلاف، ويقتربون بها من النصارى الأسيانيين كل الاقتراب .
 وقد ظهر أثر هذا الاختلاط في استعراب النصارى واليهود من أهل الأندلس،
 واتقانهم لغة الضاد وآدابها . وفي طراز بناتهم المستعرب (mozarabe)، وفي انتشار
 العلوم الدخيلة بالملك الأسيانية، وفي استعمال الحروف العربية ببعض ولاياتها،
 ويسمون ذلك عندهم بالأدب العجمي (Litteratura aljamiada) . ثم في اتخاذ
 المسلمين أزياء النصارى، فقد ذكر صاحب نفع الطيب أن الأندلسيين العرب غلب
 عليهم ترك العمامة، فكان عزيز بن خطاب أكبر عالم في مرسية يخطب في حضرة
 السلطان وهو حاسر الرأس . وكان ابن هود وابن الأحمر بدون عمامة أيضاً . وكثيراً
 ما كان سلاح السلاطين والجنود كسلاح النصارى، وأقيمتهم كأقيمتهم . واثرت
 العجمة في لغة التخاطب عندهم، فأنحرفوا بها عما تقتضيه الأوضاع العربية، حتى إذا
 تكلم أحدهم بالأعراب، وجرى على قوانين النحو، استنقلوه واستبددوه .
 وكذلك الغناء، أثر فيه اختلاط العرب بالأسيانيين تأثيراً بليغاً، وأثر أيضاً في
 الشعر الذي يتغنى به . وكانت مجالس الطرب في الأندلس على انتشار عظيم، وانعقاد
 مستمر . فإن جمال الأندلس وخصبها، وغنى أهلها، من دواعي اللهو والعبث . ولا
 شيء ادعى إلى اللهو من الغناء والطرب، فلا غرو أن يشيع هذا الفن، ويكون له
 المقام الرفيع، وتكثر مجالسه ويعظم قدر المغنين . ونجسبك أن تعلم كيف احتفى
 عبد الرحمن الثاني بزرياب، لتئين منزلة الغناء والمغنين .
 ولا ريب أن لزرياب يداً طولى في رفع شأن الغناء بالأندلس لما أدخل عليه من
 التحسين . قال فيه ابن خلدون : « فاورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى
 الزمان الطوائف، وطما منها بأشيدلية بجز زاخر . »

ولم يكن للاسبانيين موسيقى راقية قبل الفتح الاسلامي . فلما افتتحت الاندلس وانتشر الغناء العربي ، تهذبت موسيقاهم ، واصطبغت بالوان عربية بيّنة . منها انهم اتخذوا الشبابة من آلات الغناء . وهي عربية الاصل . وهم اناشيد يسمونها بالرجل (Segrel) وهي مأخوذة عن الرجل العربي . وعندهم طرب بمعنى ألف اللحن ، وطروب بمعنى مؤلف اللحن . وعندهم ربع صوت ، وثلاث صوت . واجزاء الاصوات عربية لا يستعملها في اوربة غير الاسبانيين . وتقاطيعهم الصوتية تجري على نغم واحد كالتقاطيع العربية . ومن الفاظهم ما يراجع في الغناء غير مرة ، كما يراجع لفظ ياليل في الغناء العربي .

وكان الادب الاسباني قبل دخول العرب رومانياً يتعهد الرهبان في اديارهم منذ القرن الخامس للمسيح . ولكنه لم يشمل طبقات الشعب كلها ، لان العامة لم تتأثر بالعلوم اللاتينية الراقية ، وانما كان منها شعراء ومغنون لهم ادب شعبي خاص لا يختلف ، فيما نرى ، عن ادب عامة الغالين لما بين الامتين من الاتصال ، ولما كان جماعات الجُنكُلر من يد في نشر هذا الادب .

وجماعات الجُنكُلر^(١) عرفوا في غالبية بين القرن السابع والثامن ، وكانوا يطوفون البلاد رجالاً ونساء ، يتغنون باناشيدهم . وانشيدهم منها حماسية ، ومنها غرامية ، ومنها قصص نثرية . وليست هذه الاغاني شعراً صحيح الاوزان مطرد القوافي ، وانما هي مقاطع لا ضابط لها ؛ وربما اتحدت في اواخرها الخارج الصوتية اتحاداً غير ملتزم .

فاما ، وقد علمنا ما كان بين العرب والاسبانيين من الامتزاج القوي في السكنى والزواج والبناء . واللغة والعلوم والازياء والغناء ، فغير عجيب ان يشمل هذا الامتزاج الادب ، فيسمع العرب اناشيد الجُنكُلر ، فتنبههم في القرن التاسع الى استنباط اناشيد للغناء طليقة القوافي والاوزان سموها بالموشحات . وكان لهم من مزدوجاتهم ومحساتهم سابقة في الخروج على القافية الموحدة ، غير انهم لم يتخلوا منها اصلاً لتعودهم

(١) الجُنكُلر : جماعة من الرواة والقاصين والمغنين .

ايها، ثم لا ياب عنوان رقي شعرهم؛ فجاءت موشحاتهم مختلفة الاوزان والقوافي، شاذة عن النظم الشعري المؤلف .

ودليلنا على ان العرب استنبطوا الموشحات من اجل الغناء، هو انهم كانوا يراعون فيها التلحين مطلقاً وان افضى الى افساد التعبير . قال ابن سناء الملك: « والموشحات تنقسم من جهة اخرى الى قسمين: قسم يستقل التلحين به ولا يفتقر الى ما يعينه عليه، وهذا اكثرها . وقسم لا يحتمل التلحين، ولا يثني الا بان يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دعامة للتلحين وعكازاً للمعنى كقول ابن بقي :

مَنْ طَالِبٌ ثَارَ قَتْلِي . ظَبِيَّاتِ الْخُدُوجِ . فَتَانَاتِ الْحَجِيجِ^(١)

فان التلحين لا يستقيم الا بان يقول: لا لا بين الجيمين من هذا القفل « اه .
وكذلك لا تجد لذة في رنة الموشح الذي يخالف الاوزان الشعرية الا اذا غني فيه، لانه خلق للغناء لا للانشاد .

اما اغاني الجنكلر فليس بين ايدينا شيء منها فنقابله بالموشحات . وانما نعتمد على اناشيد التروبادور التي ظهرت بجنوب فرنسا في القرن العاشر . وكان اصحابها يقصدون القصور، ودور الملوك، ومواسم الاعياد يتغنون بها، او يعني لهم فيها جماعة الجنكلر . وهي تتناول اغراضاً شتى كالغزل ووصف الطبيعة، والمدح والهجاء والقصص . واغراض الموشحات يقوم معظمها على الغزل والطبيعة والمدح . وانشيد التروبادور غنائية منسجمة الالفاظ، حسنة التوقيع، غير انها ضعيفة الميزة الادبية في معانيها الهزلية، واغراضها المكرورة . ولها اسماط واجزاء لا تتوافق اوزانها احياناً، ولا تلتزم فيها القافية كما تلتزم في الشعر؛ وانما تلتزم في كل ثلاثة اجزاء او ستة، وفي نهاية كل سطر، ويراعى في التزامها الوزن الذي وردت فيه او لا . فهي من هذا القبيل اشبه شيء بالموشحات .

ونهدت اناشيد التروبادور في القرن الحادي عشر وهو الزمن الذي نهضت فيه

(١) الخدوج: مراكب النساء مفردة حُدَج . وقوله فتانات الحجيج اي يفتن

الحجيج عن حجهم .

الموشحات، ولكن لم يصل اليها الا منذ منتصف القرن الثاني عشر، في حين انه وصلت اليها موشحات منذ القرن الحادي عشر .

فاتفاق منظومات التروبادور والموشحات في اكثر النواحي يحملنا على الاعتقاد ان العرب تأثروا بالادب الاسباني الفرنسي،^(١) كما تأثر الاسبانيون والفرنسيون بالادب العربي . فاخذ العرب فكرة التجرد من نظام الاوزان في اغانيهم، واخذ اولئك القافية والصور الخيالية الجميلة .

فالموشحات اذا ليست بعربية بحتة، انما هي مستعربة (mozarabes) كأهل الاندلس، وما في الاندلس من فنون وعادات وازياء . وكانوا في بدء نشأتها يحملونها بالالفاظ الاعجمية كما ذكر ابن بسام في الذخيرة .

(١) غلبت الصيغة الفرنسية على الادب الاسباني الشعبي لتسرب عنصره في الاندلس مع التجار اليهود خاصة ثم مع المرسلين الكاثوليكين الذين جازوا البيرنه، وانشأوا الديورة الكبار تضم اولاد الفقراء، ويعلمهم فيها اساتذة فرنسيون . وقد درس المؤرخ غستون باري صلة الادب الفرنسي بالادب الاسباني، ودل بحجج راعنة على تأثير الاول في الثاني حتى قال : « ان الادب الاندلسي في اول عهده هو فصل من تاريخ الادب الفرنسي في القرون المتوسطة . » اهـ .

اغراضها ومعانيها

الغزل . الضيعة . الخمر . المدح . تأثير الطبيعة .
استمداد المعاني منها . المعاني لطيفة غير عميقة . قلة الابتكار .

فاما وقد علمنا ان الموشحات اخترعت من اجل الغناء ، فلا غرو ان تكون اغراضها في اول الامر مناسبة لهذا الفن ، فما ينظم فيها غير الغزل والخمر والمجون ووصف الطبيعة . واتبعوا بها المدح لان ابهى مجالس الغناء كانت تعقد في قصور الملوك والامراء . والتغني بتناقيبهم عدة التكسب للشاعر والمعني معاً . ثم توسعوا فيها الى سائر اغراض الشعر كالهجو والرثاء ، والزهد والتصوف .

واكثر ما نظمت فيه الموشحات ما اجتمع به الغزل والطبيعة والخمر والمدح . وربما استهلوا بالغزل وانتقلوا الى المدح ، ثم رجعوا الى الغزل ، فجعلوه ختاماً للموشح . على انه مهما تعددت اغراض الموشحات فللطبيعة النصيب الاوفر . فاهل الاندلس وقد علمت شفقتهم بطبيعة بلادهم ، لا يفترون عن ذكرها في توشيحاتهم ، كما لا يفترون عن ذكرها في اشعارهم . وهي في الموشحات ، اظهر واشمل . فما تقرأ موشحة لهم الآرايت الطبيعة ماثلة بالوانها واصباغها ، وازهارها ورياضها ، ومدنها وعمرانها ، يتغنى بها الوشاح اكثر مما يتغنى بمحبوبه . فهي الجيب المالك عليه شغاف قلبه ، المستولي على جميع احساسه ، يروقه منظر الزهر البليل عند الصباح ، وتشوقه بهجات الوانه ، ويعلا فؤاده عبيره ، ويحلبه الماء المنساب في الجداول والانهر ، وتطربه الاطيار تغرد على غصون الشجر . وكل صورة من صور الطبيعة عنده شاعرة حساسة ، يغوص على طبائعها ، ويستشف دخائلها ، ويتبين سرورها والمها . فاذا بان الخطيب يقول :

أَيُّ شَيْءٍ لِأَمْرِي قَدْ خَاصَا ، فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مَكَّنَ فِيهِ (١)

(١) خلص : صفا ، الظاهر من معناه انه لو صفا شي . لمخلوق لتمكن الروض من الحصول على هذا الصفاء لانه احق به من سواه . وقوله مكن فيه اي مكن منه ؛ ومن معاني في ان تكون مرادفة لمن .

تَنْهَبُ الْأَزْهَارُ مِنْهُ الْفَرْصَاءُ، أَمِنْتَ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَتَّقِيهِ^(١)
 فَإِذَا الْمَاءُ تَسَاجَى وَالْخَصْيُ، وَحَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ
 تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيُورًا بِرَمَاهُ، يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِي^(٢)
 وَتَرَى الْأَسَّ لَيْبًا فَهَمَاهُ، يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأُذُنِي فَرَسٍ^(٣)

ويقول ابن زمرك في ربيع الحبا :

بَلِيلَةُ الْأَرْدَانِ ، قَدْ ضَجَعَتْ بِالْعَنْبَرِ^(٤)
 يُشِيرُ غَضَنُ الْبَسَانِ ، مِنْهَا بِفَضْلِ الْعِثْرِ^(٥)

ففي هذا القفل ماء وهواء وغضن وحياة وحركة وطيب . وما اللفظ قوله في

الصبح :

غَرَدَ الطَّيْرُ فَنِيَهُ مِنْ نَعْسِ، يَا مُدِيرَ الرِّيحِ
 وَتَعَرَّى الْقَجْرَعَنْ ثُوبِ الْعَلَسِ، وَأَنْجَلِي الْأُصْبَاحِ

وقوله وفيه من تأثير الأشعة واللون شيء كثير :

فَالشُّهْبُ مِنْ غَارَةِ الصَّبَاحِ، تُرْعَدُ خَوْفًا وَتَحْفَقُ
 وَأَدْهَمُ اللَّيْلِ فِي جَمَاحِ، أَعْنَةَ الْبَرْقِ يُطْلِقُ
 وَالْأَفْقُ فِي مُلْتَقَى الرِّيحِ، بِأُدْمَعِ الْغَيْثِ يَشْرِقُ^(٦)

(١) يقول : لو صفاتي، لمخلوق خصل الروض على هذا الصفاء، وكانت ازهاره تنهب الفرس من هذا الشيء الصافي، لانها امتت ما كانت تحذر من مكره . (٢) يقول : كما انه لا يصفو شيء، لمخلوق، فكذلك لا يصفو للروض فان الكدر يشمل الازهار فيينا يكون الماء والخصي متناجين يبدو الورد غيوراً متنجراً، يكتسي حمرة من غيظه وغيرته، اذ ليس له خليل يخلو به . (٣) الأس : شجر ورقه عطر ويعرف عند العامة بالريحان، وثره بالخبلاس وهو تحريف لحب الأس . شبه الأس بالرجل الخذر العاقل الذي لا يفتل عن استراق الامور وفهمها، او شبهه بالرقيب المتنبه ليستمع الاخبار . (٤) الاردان : مقدم الاكام . (٥) الفضل : بقية الشيء وزيادته . (٦) يشرق : يفتل .

وَالسَّحْبُ بِالْجَوْهْرِ اسْتَقَلَّتْ ، فَالْبَرْقُ سَيْفٌ مُجَوَّهَرٌ ،
صَفَاحُهُ الْمَذْهَبَاتُ سَلَّتْ ، فِي رَاحَةِ الْجَوْرِ تُشْهَرُ^(١)

* * *

كَمْ بِالضَّبِي تَحْمَنُ مِنْ مَقِيلٍ ، بِطَيْبِهِ الزَّهْرُ يَشْهَدُ^(٢)
وَالنَّهْرُ كَالصَّارِمِ الصَّقِيلِ ، فِي حِلْيَةِ النُّورِ يُغْمَدُ
وَرُبَّ قَالٍ بِهِ وَقِيلٌ ، لِلطَّيْرِ فِي حِينٍ تُنْشِدُ^(٣)

وقوله متشوقاً الى غرناطة وكان بعيداً عنها :

نَسِيمُ غَرْنَاطَةَ عَلِيلٌ ، لَكِنَّهُ يُبْرِئُ الْعَلِيلَ
وَرَوْضُهَا زَهْرُهُ بَلِيلٌ ، وَرَشْفُهُ يَنْقَعُ الْعَلِيلَ^(٤)

* * *

سَقَى بِبِنْدِ رُبِّي الْمُصَلَّى ، مُبَاكِراً رَوْضَهُ ، الْقَمَامُ^(٥)
فَجَفَنُهُ كَلَّمَا اسْتَهَّلَا ، يَبْتَسِمُ الزَّهْرُ فِي الْكِمَامِ^(٦)
وَالرَّوْضُ بِالْحَسَنِ قَد تَجَلَّى ، وَجَرَّدَ النَّهْرُ عَنِ حَمَامِ

* * *

وَدَوَّحَهَا ظِلُّهُ ظَلِيلٌ ، يَخْسُنُ فِي رُبْعِهِ الْمَقِيلُ
وَالْبَرْقُ ، وَالْجَوْ مُسْتَطِيلٌ ، يَأْتِبُ بِالصَّارِمِ الصَّقِيلُ

* * *

عَقِيلَةٌ تَأْجُهَهَا السَّبِيكَةُ ، تُطَلُّ بِالْعَرَقِ الْمُنِيفِ^(٧)

(١) الصِّفَاحُ ، جمع صفيحة : وجه السيف العريض . (٢) بالصبي : اي في عهد الصبي . المقيل : موضع القيلولة وهي نومة نصف النهار . (٣) قال وقيل : اي تجاوب الطيور ومساجلاتها . (٤) ينقع : يُسَكِّنُ . العليل : شدة العطش . (٥) القمام : فاعل سقى . نجد : ما ارتفع واشرف من الارض . (٦) استهل : العين دامت ، والمطر انصب . الكمام : جمع كم وهو الغلاف الذي يحيط بانزهر وينشق عنه . (٧) العقيلة من كل شيء ، أكرمه ؛ ويريد بها غرناطة . السبيكة والمرقب : موضعان في غرناطة .

كَأَنَّهَا فَرْقُهُ مَلِيكَةٌ ، كَرِيْسِيْهَا جَنَّةُ الْعَرِيْفِ^(١)
تَطْبَعُ مِنْ عَسْجِدِ سَيْبِكَةٍ ، شُمُوسُهَا كُلُّهَا تُطِيْفُ^(٢)

واليك المدح كيف تظهر فيه الطبيعة كل الظهور، قال ابن زمرك يعني السلطان

ابن الاحمر بشقائه :

قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِالشِّفَاءِ ، وَأَسْكَمِلَتْ رَاحَةَ الْإِمَامِ
فَلْتَنْطِقِ الطَّيْرُ بِالْهَنَاءِ ، وَلْيَضْحَكِ الزُّهْرُ فِي الْكِمَامِ

* * *

وَجُرْدُهُ بَهْجَةُ الْوُجُودِ ، وَبِرُوءُهُ رَاحَةُ النُّفُوسِ
قَدْ لَاحَ فِي مَرْقَبِ السُّعُودِ ، وَأَسْتَبَشَّرَتْ أَوْجُهُ الشُّمُوسِ^(٣)
فَالدَّوْحُ يُؤَمِّي إِلَى السُّجُودِ ، أَكْمَامُهُ حَطَّتِ الرُّؤُوسِ^(٤)

* * *

وَالزُّهْرُ فِي رَوْضَةِ السَّمَاءِ ، كَالزُّهْرِ قَدْ رَاقَ بِأَيْتِسَامِ^(٥)
وَالصُّبْحُ مُسْتَشْرِفُ اللَّوَاهِ ، وَالْبَدْرُ يَسْتَقِيلُ السَّمَامِ^(٦)

ومعاني الموشحات لطيفة سائغة كاغراضها، ناعمة الخيال، مشرقة الصور، لامتراجا بصور الطبيعة الناعمة والوانها. الا انها مكرورة معادة، طافية غير بعيدة الغور؛ وقلم وقعت على معنى يستوقفك ببراعته وعمق صورته. وانما انت تؤخذ على الاكثر، برقة الالفاظ وحسن موسيقاها، ولطف ما فيها من الاساليب البيانية المختلفة الوجوه. فيليك هذا الجمال الخارجي عما في داخلها من معانٍ تفتية، او مبتذلة. وربما رأيت فيها غموضاً مع

(١) جنة العريف: موضع في غرناطة كان مصيف لامراء العرب، ولا تزال اثاره قائمة.

(٢) المسجد: الذهب. المراد ان جنة العريف تبدو محاسنها وخضرتها، واشعة الشمس عليها

كسبيكة من ذهب؛ مشرقة شمسها، طوافة متنقلة. (٣) المرقب: المكان المشرف المطل.

فاعل لاح ضمير يعود على بروءه. (٤) يريد ان الطيعة فرحت بشفاء ممدوحه وشكرت الله،

فالشموس فرحت، والاقمار سجدت وظهر سجودها بان اكمام زهرها انزلت رؤوسها.

(٥) الزهر: الاقمار. (٦) مستشرف: منتصب.

خفتها، وقرب متناوفا، نغلبة الصنعة اللفظية عليها، كما في موشحة لسان الدين بن الخطيب حين يقول: «وروى النعمان عن ماء السماء...» أو لب الاغراب، وسقم التعبير، وضيق الالفاظ عن ايضاح المعنى. كقول ابن الخطيب ايضاً:

أَيُّ شَيْءٍ لِأَمْرِي قَدْ خَلَصَا ، فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مُكِّنَ فِيهِ

وقد تقرأ الموشحة فما تجد ارتباطاً في معانيها، ولا تختلف في نظرك عن تلك الاغاني الشعبية التي تسمعها في زماننا، فتطربك بالحانها، دون ان تأبه لما فيها من سخف المعنى، وتفكك والنحل. فهذه موشحة ابي بكر بن زهر من اشهر الموشحات، تقرأها فتلد لك صورها والوانها، وما فيها من الفاظ الحب والحمر والطبيعة؛ فاذا تدبرت معانيها، لم تقع على شيء حقيق باللذة والاستمتاع، وانما هي قطعة صالحة للغناء:

مَا لِلْمَوْلَى ، مِنْ سُكْرِهِ لَا يُفَيْقُ ، يَا لَهُ سَكْرَانُ
مِنْ غَيْرِ خَمْرٍ ، مَا لِلْكَيْبِ الْمَشُوقِ ، يَنْدُبُ الْأَوْطَانَ

هَلْ تُسْتَعَادُ ، أَيَّامَنَا بِالْعَلِيَجِ ، وَكَيْلَانَا ؟
أَوْ يُسْتَفَادُ ، مِنْ اللَّسِيمِ الْأَرِيَجِ ، مِنْكَ دَارِينَا^(١)
أَوْ هَلْ يَكَادُ ، حُسْنُ الْمَكَانِ الْبُهَيْجِ ، أَنْ يُجَيِّنَا

رَوْضُ أَظَلَّةَ ، دَوْحٌ عَلَيْهِ أُنَيْقُ ، مُورِقُ الْأَفْئَانَ ،
وَأَمَّا يَجْرِي ، وَعَارِثُهُمْ وَغَرِيقُ ، مِنْ جَنَى الرِّيْحَانِ

وكذلك موشحة ابي بكر بن الابيض^(٢)، ليس فيها معنى شريف، على لطف

الفاظ الغزل فيها:

(١) الاريج: العضر. فعيل بمعنى الفاعل. دارين: فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند ويباع بها، فصار ينسب اليها، يقال مسك دارين. ومراد الشاعر ان هذا النسيم الاريج يشبه مسك دارين براحتة. (٢) ابو بكر بن الابيض توفي سنة ٥٤٤ هـ. (١١٤٩ م).

بَرْدٌ غَلِيلٌ ، صَبْرٌ عَلِيلٌ ، لَا يَسْتَحِيلُ ، فِيهِ عَنِ الْعَيْدِ^(١)
وَلَا يَزَالُ ، فِي كُلِّ حَالٍ ، يُرْجُو الْوَصَالَ ، وَهُوَ فِي الصَّدْرِ

وموشحة ابن الخطيب، وهي أسير الموشحات واخلدها ذكراً، اذا حبست نفسك عن الاستسلام الى موسيقاها، والافتتان بصورها البيانية والوانها، وغصت على معانيها تتقصاها في مواطنها، رأيت انك امام اوصاف عادية متداولة، ومعانٍ متعارفة مبتذلة. فكان الرشاح الاندلسي جعل همه في اخراج موشح لطيف سائغ يصلح للغناء، لا يعنيه ان يكون فيه معنى مبتكر، او معنى دقيق. فالموشحات لم تخلق لارضاء التفكير وتغذية الذهن، وانما خلقت لاثارة الخيال والعاطفة، وابهاج النفس، والعين والاذن.

(١) الغليل : حرارة الحب . وقوله فيه : اي في هذا الغليل .

نغمها

ضعفها . المجاز والمحسنات شفيقة . الموسيقى .

كانت لغة الشعر التقليدي في الأندلس ضعيفة بإضافة الى لغة الشعر العباسي ، فجاءت لغة الموشحات الين واضعف . وهي فن استعرب ولم يكن عربياً ، وابتدع ولم يكن تقليدياً . ووجد من اجل الغناء ، والغناء يتطلب الالفاظ السهلة السمحة ، والتعابير اللطيفة الينة . وهذه تقود غالباً الى الضعف والركاكة لطواعيتها ، وائتلافها بمبتذلات العامة . وزادها فساداً ما اشترط في خرجاتها ان تكون عامية التعبير ، فاجترأ الوشاحون على التساهل اللغوي في غير الخرجة ، كقول بعضهم :

يَا ظَالِمِي حَقًّا ، يَكْفِيكَ مَا أَلْقَى
أَفْتَنَّتَنِي عُشْقًا

بِحُرْمَتِي عَيْنَاكَ ، أَمَا كَفَاكَ ا

وافرطوا في استعمال المجاز على انواعه ، فحفلت موشحاتهم بشتى الكنايات والتشبيه والاستعارات ، وافتنوا في أوجه البديع ، والتزموه التزاماً ، لا لتحسين المعنى ، وإنما لتحسين اللفظ ، وتوشيته . فابن الخطيب كان له مندوحة عن قوله :

وَرَوَى التُّعْمَانُ عَنْ مَاءِ السَّمَاءِ ، كَيْفَ يَرَوِي مَالِكٌ عَنْ أَنَسٍ .

ولكن التورية قادته الى هذا التلاعب بمعاني الالفاظ . ولم يكن لاقحام مالك ابن انس من داع لولا قوله : « وروى » ، فالرواية تعني الحديث ، ومالك محدث عظيم . وهذه الاشياء ، وامثالها كثيرة في الموشحات ، وهي التي اورثت بعضها غموضاً على سهولة الفاظها ورقتها .

والموشحات الفاظ وتعابير خاصة لا تكاد تختلف في ذكر الطبيعة والحمر والحبيب ، فيها كثير من السماء وشموسها وغمامها ، وفيها كثير من الارض ورياضها وانهارها ، ولها وقع جميل في النفس ، وان خلت من المعاني البارعة .

تأثيرها

انتشارها . الغناء فيها . دخولها المغرب والمشرق . اثرها
النسي في الادب . الازجال . الانحدار الى العمالية .
الموشحات في عصر الانبعاث .

كان لظهور الموشحات اثر بليغ في الشعر والشعراء، لان اعتمادها على الغناء جعلها
تطير على افواه المغنين، ويتلقفها الناس من كل صوب، ويحفظونها ويتناقلونها، حتى
غلبت على الشعر واحتلت مكانه، واصبح الملوكة يأنسون بها في مدائحهم، ويطربون
الى سماعها، ويميزون عليها كما يميزون على القصائد . وبلغ من شغف الشعراء بها، انه
ما اشتهرت موشحة، وتداولتها الالسن، الا انبرى جماعة منهم الى معارضتها . فقد نظم
ابن سهل^(١) موشحته التي اولها :

هَلْ دَرَى ظَنِّي الْجَمَى أَنْ قَدْ حَمَى ، قَلْبَ صَبْرٍ ، حَلَهُ عَنْ مَكْنَسٍ^(٢)
فَهَوَّ فِي حَرٍّ ، وَخَفِقَ مِثْلَمَا ، أَمَيْتُ رِيحَ الصَّبَا بِالْقَبَسِ^(٣)

فغنى فيها المغنون، وتحدث بها الناس . فانبرى لسان الدين بن الخطيب يعارضها
بموشحته : « جادك الغيث . » فسارت كل مسير، وحجبت موشحة ابن سهل، ورويت
لها عدة معارضات، قصرت عنها في المضار .

ولم تنحصر الموشحات في الاندلس، بل جاوزت بحر الزقاق الى المغرب والمشرق،
فنظم فيها المغاربة والمشاركة، ولكنهم لم يبلغوا شأوا الاندلسيين، الا ابن سناء الملك
المصري، فان له موشحة شرقت وغربت، وهي التي يقول في اولها :

(١) هو ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الاشيلي الشاعر المشهور، من الاسبانيين المستعربين
الذين تأدبوا بادب العرب، وشعره رقيق عاطفي حسن الغزل، توفي سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١م)
وهو في الاربعين؛ قيل مات غريقاً . (٢) حمى الحمى : منعه ودفع عنه، والمراد هنا استقل
وحده بقلبه . مكنس : الكناس وهو مأوى الظبي في الشجر . وقوله حله عن مكنس : اي
عوضاً عن مكنس (٣) القبس : شعلة من النار تؤخذ في طرف عود .

كَلْبِي، يَا سَحْبُ تَيْجَانِ الرَّبِّي بِالْخَلْبِي، وَأَجْعَلِي، سِوَارَهَا مُنْعَطِفَ الْجَدُولِ^(١)

يَا سَمَاءُ، فِيكَ وَفِي الْأَرْضِ نُجُومٌ، وَمَا، كَلْبًا، أَغْرَبْتَ نَجْمًا، أَشْرَقْتَ أَزْجِيًا^(٢)
وَهِيَ مَاءٌ، تَهْطِلُ إِلَّا بِالْأَطْلَا وَالْدُمَى^(٣)

على ان هذا الفن، مع جماله ورشاقته، كان له اثر سيى في الادب، اذ قاده الى الانحطاط؛ قال ابن خلدون : « ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس، واخذ به الجمهور لسلاسته، وتنميق كلامه، وترصيع اجزائه، نسجت العامة من اهل الامصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الخضرية من غير ان يلتزموا فيه اعراباً، واستحدثوه فذا سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على منحهم الى هذا العهد. » اهـ .
فاقبال العامة على هذا الفن لسهولته وحسن مؤاتته، انحدر بالشعر الى العمية، فصار الى ساقط القول . غير ان الشعراء المحدثين من اهل زماننا، عادوا به الى الفصحى، ورفعوا منزلته، واعتمدوا عليه في منظوماتهم الطويلة . كما فعل سليمان البستاني في الياذة هو ميروس، واحمد شوقي في قصصه التمثيلية .

والموشح، اذا روعيت فيه الفصاحة، والاوزان الشعرية، شائق فنان للطفه وحسن مساعده، فهو شعر الحب والطبيعة والجمال والفن، وشعر القصائد الطويلة التي لا يضيق عليها الخناق وزن واحد وقافية واحدة . وهو فتح مهين في الادب العربي، يعود الفضل فيه الى الاندلس، واهل الاندلس .

(١) تيجان الربى : اعانها . الخلبى : اي انواع الزهر . سوارها : نحرها او جدولها وقوله : منعطف الجدول : اي تناسب مياحه منعطفة . (٢) المراد بنجوم الارض انواع الازهار . وما : مسهل ماء . الضمير في اغربت واشرقت عائد على النجوم . واستعمال اغرب بهذا المعنى غير مسموع . ولعله جاء به موازنة لاشرق . (٣) وهي : اي النجوم . الطلا : اي الطلاء وهي اخضر . الدمى : جمع دمية وهي الصورة المنقشة المزينة، والمراد بالدمى وشي الطبيعة وازهارها، المسببة عن المطر وهو مجاز مرسل . وقوله تهطل بالطلاء مجاز مرسل، والمراد ما يتسبب عن المطر، فانه يروي الكروم فتحتلى اغناجا، ثم تعصر هذه الاعناب خمرا .

منزلة الشاعر الاندلسي

إقبال اهل الاندلس على الشعر . الشاعر نديم الملك ووزيره .
حياة نعمة جدها الخضر .

شفف اهل الاندلس بالشعر كما شفف به المشاركة، فنقشوه على جدران قصورهم
ومنازلهم، وجعلوه سلوى خاوتهم ومحافلهم . واقبل على نظمه الرجال والنساء،
فكادت الشواعر تضاهي في العدد الشعراء . وفيهن طبقة من المحسنات البارعات
كولادة بنت المستكفي، وتلميذتها مهجة القرطبية، وحمدة بنت زياد خنساء المغرب،
وحفصة بنت الحاج الركونية، وعائشة بنت احمد القرطبية، وتزهون القلاعية
الغرناطية . وجميعهن مشهورات بالجمال والظرف، الا عائشة فقد استغنت بالفهم والادب
والفصاحة . ونبع شعراء من الملوك والوزراء والاطباء والفلاسفة والفقهاء، فشاع الشعر
في صقع الاندلس شيوعاً عظيماً، ولاكته الافواه من كل جانب، واصبح الملوك لا
يستوزرون غير الشعراء . فكان الوزير نديم الملك وشاعره ومدبر مملكته . فاعتز
الشعراء، وارتفعت منزلتهم، وحفلت بهم دور الامراء، ودرت عليهم اخلاف الزرق .
فتنعموا ورفهوا، وأترفوا ومرحوا، ولهوا وعشوا .

غير انهم كانوا مهددين دائماً بزوال النعمة . فان الشعراء الوزراء لم ينجوا من
حساد يكيدونهم، ووشاة يدسون لهم بغية اسقاطهم، كما وقع لابن زيدون عند بني
جهور، ولابن الخطيب عند بني الاحمر . وقد تطمع نفس الوزير في الاستقلال بالملك،
فيخفق مسعاه، وينتقم منه سلطانه؛ فعل المعتمد بن عباد بوزيره الشاعر ابن عمار .

وسلطة الفقهاء بالاندلس جعلت الشعراء دريئة للويلات، ولطالما نكب الشاعر
لاخلاقه او لآرائه، كما جرى لابن هاني فقد نفاه امير إشبيلية خوفاً من الفقهاء والعامه،
لانهم اتهموه بذهب الفلاسفة، وفسقوه لخلاعه .

ومع ذلك فالشاعر الاندلسي كان رفيع المنزلة، لمكانة الوزير الشاعر في دولته .
ثم لولع الاندلسيين بالشعر، واقبال طبقاتهم عليه .